المكتبات الوطنية

عبد الهادى، محمد فتحى.
المكتبات الوطنية / محمد فتحى عبد الهادى، نبيلة خليفة جمعة .- ط١.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٩.- ٢٣٧ص

عرض
د. منى فاروق على
مدرس بقسم المكتبات والمعلومات
- جامعة حلوان

المكتبة الوطنية هى المكتبة المسئولة عن جمع وحفظ وصيانة الإنتاج الفكرى للدولة . وهى من هذا المنطلق مؤسسة من المؤسسات الأساسية للدولة. وتوجد المكتبات الوطنية فى كل بلاد العالم أو فى معظمها على الأقل، وهى تمارس دورها المنوط بها، ويتطور هذا الدور عادةً وفقًا لمتطلبات العصر من ناحية وظروف الدولة واحتياجاتها من ناحية أخرى. وقد تعاظم دور المكتبة الوطنية فى العالم بداية من القرن الواحد والعشرين فى ظل بيئة إلكترونية متطورة فى ظل شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، وأيضاً فى ظل دخول عديد من الدول فى زمرة مجتمعات المعلومات والمعرفة.

وفى إطار سلسلة "أساسيات المكتبات والمعلومات" التى تصدر عن الدار المصرية اللبنانية، والتى تهدف إلى توفير نصوص دراسية معدة بعناية متخصصة فى المجال، صدر كتاب "المكتبات الوطنية" للأستاذ الدكتور محمد فتحى عبد الهادى، والأستاذة الدكتورة نبيلة خليفة جمعة. وبالطبع فإن المؤلفين من أبرز علماء مجال المكتبات والمعلومات فى العالم العربى، وقد ظهر ثرائهما العلمى جليًا فى هذا الكتاب كما ظهر فى كتب عديدة سابقة جمعت بينهما مثل: ترجمة قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية، وموجز قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية، واتجاهات حديثة فى الفهرسة، وقد شاركتهما فى هذه الأعمال الأستاذة الدكتورة يسرية زايد. كما صدر لهما مؤخرًا كتاب المكتبات العامة ، والفهرسة فى البيئة الإلكترونية.

ويهدف هذا الكتاب إلى تقديم عرض شامل وحديث لمفهوم المكتبات الوطنية ووظائفها، ثم استعراض لأبرز المكتبات الوطنية على المستوى العالمى والعربى، وأخيرًا يهدف الكتاب إلى إلقاء الضوء على مستقبل المكتبات الوطنية فى العالم العربى.

وهذا الكتاب من شأنه أن يحقق النفع والفائدة للمكتبيين بصفة عامة ولمدراء وموظفى المكتبات الوطنية بصفة خاصة، وللباحثين ولطلاب أقسام المكتبات والمعلومات العربية .

وفيما يلى عرض للفصول الخمسة التى يتضمنها هذا الكتاب:

الفصل الأول: المكتبة الوطنية : مفهومها ونشأتها وتطورها وأنواعها :

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض تعريفات المكتبة الوطنية بغية الوصول إلى أشمل التعريفات وأفضلها، كما يهدف إلى تناول نشأة المكتبة الوطنية وتطورها على امتداد أكثر من قرنين من الزمان، فضلاً عن بيان أنواع المكتبات الوطنية.

وبالنسبة لتعريف المكتبة الوطنية، فقد تعددت تعريفات المكتبة الوطنية على مدار تاريخها الطويل، واتفقت معظم هذه التعريفات على الوظائف الأساسية، واختلفت فى بعض الجوانب الأخرى، إما بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الفترة الزمنية. ويرى المؤلفان أن التعريف الذى قدمه مؤتمر مديرى المكتبات الوطنية الذى انعقد فى بانكوك فى عام ١٩٩٩ أشمل هذه التعريفات وأفضلها، وفيما يلى هذا التعريف :

"مؤسسة أنشئت أساسًا (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) بواسطة الدولة، وهى مسئولة بصورة شاملة عن الجمع والتسجيل الببليوجرافى والحفظ والإتاحة للتراث الوثائقى (المواد المنشورة من كل الأنواع أساسًا) الذى ينبثق من الدولة أو يتعلق بها، وقد تكون مسئولة أيضًا عن الدفع الكافى والفعال لمكتبات الدولة من خلال أعمال مثل : إدارة المجموعات المهمة على نطاق وطنى، والإمداد ببنية تحتية ، وتنسيق الأنشطة فى نظام المكتبات والمعلومات بالدولة، والعلاقات على المستوى الدولى، وممارسة دور القيادة. وعادة ما تكون هذه المسئوليات محددة بشكل رسمى فى قانون".

أما بالنسبة لنشأة وتطور المكتبات الوطنية، فقد بدأت فكرة المكتبة الوطنية بالظهور فى عام ١٧٩٥، عندما أعلن الميثاق الوطنى الفرنسى أن المكتبة ملكية وطنية، وكانت قبل ذلك ملكًا للملوك. وقد أعطاها ذلك الحق إمكانية الحصول على نسخ الإيداع لكل المواد المطبوعة بالدولة. ثم أنشئت بعد ذلك المكتبات الوطنية فى القرن التاسع عشر فى أكثر من عشرين دولة.

أما فى بدايات القرن العشرين، فقد وجدت المكتبات الوطنية فى أكثر من ثلاثين دول. وقد مرت هذه الممارسة بمرحلة نشطة بصفة خاصة فى العقد الذى تلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك عندما ظهرت حركات التحرر من الاستعمار ونشأت نظم ديمقراطية فى دول عديدة. ففى الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥ وحدها ظهرت ١٣ مكتبة وطنية ثم استمرت هذه الممارسة لاحقًا. ولم

يقتضر التطور على كثرة إنشاء المكتبات الوطنية الجديدة، ولكنه شمل أيضا التحديد القانونى لوظيفتها ودورها ؛ حيث مثل ذلك سمة العقد الأخير.

وفى الفترة الأولى من حياة المكتبات الوطنية، كان لمعظمها سياسات متحفظة إلى حد كبير فيما يختص بخدمة الجمهور حيث كانت الإتاحة محدودة. وكان ذلك راجعا إلى الطبيعة الاجتماعية، والسياسية، والتقاليد التاريخية. أما فى العقود الأخيرة، فقد تغير الوضع بشدة. وقد ظهرت علامات التغيير الفجائى فى أنشطة المكتبات الوطنية فى منتصف القرن العشرين، وهى : التفاعل مع الأوضاع الاجتماعية، ووضوح التغير الفجائى نتيجة الخطوة السريعة للتقدم العلمى، والنمو الكبير للمكتبات المتخصصة، والاتجاه نحو تعاون المكتبات وخلق نظم مكتبية شاملة.

وتتنوع المكتبات الوطنية الموجودة فى الدول المختلفة، ويأتى هذا التنوع وفقًا لعدة محاور :

فمن حيث النشأة نجد أن بعض المكتبات الوطنية قد نشأت أصلاً على أكتاف مكتبة أخرى مثلما حدث فى فرنسا ؛ حيث نشأت المكتبة الملكية عام ١٤٨٠ وتحولت إلى مكتبة وطنية للبلاد عام ١٧٩٥. وكما حدث فى المملكة المتحدة حيث تحولت مكتبة المتحف البريطانى التى أنشئت عام ١٧٥٣ إلى مكتبة وطنية لبريطانيا عام ١٩٧٣. وكما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تحولت فيها مكتبة الكونجرس التى أنشئت عام ١٨٠٠ كمكتبة للكونجرس الأمريكى إلى مكتبة وطنية للبلاد دون أن تغير من تسميتها. كما أن الكثير من المكتبات الوطنية نشأ منذ البداية كمكتبة وطنية مثل دار الكتب المصرية التى أسست عام ١٨٧٠ كمكتبة وطنية لمصر، وقد صدرت لائحتها آنذاك بعنوان : "قانون الكتبخانة الخديوية المصرية".

أما من حيث الكيان والتركيب الإدارى، فنجد أن بعض المكتبات قد تشمل كيانًا واحدًا يقع داخل مبنى واحد، أو قد يشغل أكثر من مبنى تتوزع عليها بعض أقسام المكتبة التى تؤدى وظائف مستقلة ؛ بل وأحيانا تنقسم المكتبة الوطنية إلى أكثر من واحدة عن طريق التخصص الموضوعى، كما يمكن أن تكون للدولة أكثر من مكتبة وطنية. ومن أشهر الأمثلة على ذلك مكتبة الكونجرس التى تشغل أكثر من مبنى فى الموقع الرئيس لها، بالإضافة إلى وجود مكتبة قومية للزراعة وأخرى للطب.

ومن حيث الوظائف التى تؤديها المكتبات الوطنية ، نجد اختلافًا وتباينًا واضحًا فى الوظائف التى تقوم بها المكتبات الوطنية بالدول المختلفة. فالدور الريادى للمكتبة الوطنية يجعلها راعية للمكتبات الأخرى بالدولة ، كما يجعلها مسئولة عن تنسيق الأنشطة التعاونية، واشتراكها فى الإعارة

بين المكتبات، وتخطيط الخدمة المكتبية بالدولة.

الفصل الثانى : وظائف المكتبة الوطنية.

ويهدف هذا الفصل إلى التعرف على الوظائف الأساسية التى تؤديها المكتبة الوطنية الحديثة باعتبارها مكتبة الدولة، والأسس القانونية والإدارية والمالية التى تنشأ المكتبة الوطنية بموجبها. كما يهدف الفصل إلى تحليل ومناقشة أبرز القضايا التى ترتبط بالمكتبة الوطنية فى الوقت الحاضر.

وبالنسبة لوظائف المكتبة الوطنية ومهامها، فقد تحددت سبع وظائف أساسية للمكتبة الوطنية عام ١٩٦٣ وذلك فى مؤتمر قسم المكتبات الوطنية والجامعية الذى عقد فى بريطانيا، وهى : اقتناء مجموعة الإنتاج الفكرى الوطنى، واقتناء مجموعة من الإنتاج الفكرى الأجنبى، وجمع واختزان الطبعات النادرة خاصة القيمة، وإتاحة المجموعات للقراء، وتقديم خدمة معلومات ببليوجرافية، وتدريب العاملين بالمكتبات، والمشاركة فى تخطيط الخدمة المكتبية بالدولة.

وقد تعددت الآراء واختلفت بشأن الوظائف المنوط بها المكتبات الوطنية إلا أنها اتفقت على ثلاث مهام رئيسة يجب أن يقوم بها هذا النوع من المكتبات، وهى : جمع واختزان المخرجات المطبوعة بالدولة، والعمل كمركز معلومات ببليوجرافى وطنى، والعمل كمركز للنظام المكتبى بالدولة.

أما بالنسبة للأسس القانونية والإدارية والمالية، فعادةً ما تنشأ المكتبات الوطنية فى أى دولة بموجب نص تشريعى يتحدد فيه اسم المكتبة، وتاريخ إنشائها، وتبعيتها الإدارية، ومواردها ومخصصاتها المالية. كما ينبغى أن يتضمن قانون الإنشاء الوظائف والمهام المنوط بها، وتركيب وتكوين الكيان الإدارى لها، ثم يعقب صدور القانون بعض اللوائح التنفيذية التى تتناول بالتفصيل ما أجمله القانون، أو تتناول المواد والإجراءات التى تحكم سير العمل بهذه المؤسسة. كما يرتبط بذلك قانون للإيداع أو لحق النشر. وهو الذى يمنح المكتبة الوطنية حق الحصول على نسخ من الإنتاج الفكرى الوطنى الصادر بالدولة. ومن الممكن أن يحدد القانون أحقية المكتبة الوطنية وحدها فى الحصول على نسخ الإيداع، أو يحدد مكتبات أخرى بالدولة لها الحق نفسه فى الحصول على نسخ الإيداع. وعادةً ما ينص هذا القانون على المواد الخاضعة للإيداع، وعدد النسخ الواجب إيداعها، والمسئول عن الإيداع، والعقوبات التى توقع على المسئول عن الإيداع فى حالة عدم الوفاء بالالتزامات.

وقد تطرق المؤلفان فى هذا الفصل بالتفصيل لبعض الموضوعات والقضايا التى ترتبط بالمكتبات الوطنية ارتباطًا وثيقًا، ولا ترتبط بغيرها من أنواع المكتبات الأخرى مثل : المكتبة الوطنية والضبط الببليوجرافى الوطنى، والمكتبة الوطنية والفهرسة أثناء النشر، والمكتبة الوطنية والترقيمات الدولية،

والمكتبة الوطنية وتكنولوجيا المعلومات، والدور الريادى للمكتبة الوطنية، والمكتبة الوطنية والتعاون الدولى.

الفصل الثالث : المكتبات الوطنية الكبرى فى العالم.

ويهدف هذا الفصل إلى التعريف بكبريات المكتبة الوطنية على مستوى العالم، وهى :

- المكتبة الوطنية بفرنسا (١٤٨٠).
- مكتبة المتحف البريطانى (١٩٧٣).
- مكتبة الكونجرس بالولايات المتحدة (١٨٠٠).
- المكتبة الوطنية لروسيا (١٧٩٥).

وقد تم التطرق لكل مكتبة من ناحية النشأة والتطور، والمبانى والميزانية، والمجموعات، والعمليات الفنية، والخدمات.

الفصل الرابع : المكتبات الوطنية فى العالم العربى.

يهدف هذا الفصل إلى استعراض نشأة المكتبات الوطنية العربية وتطورها، كما يهدف إلى التعريف بأبرز المكتبات الوطنية العربية التى تم اختيارها.

وقد بدأ هذا الفصل بمقدمة تاريخية تناولت فكرة المكتبة الوطنية فى العصر الحديث التى بدأت فى عام ١٧٩٥ عندما أعلن الميثاق الوطنى الفرنسى أن المكتبة ملكية وطنية بعد أن كانت قبل ذلك ملكية للملوك. غير أن العصور القديمة قد شهدت فكرة المكتبة الوطنية فى العالم العربى الإسلامى قبل ذلك بزمن طويل ؛ فقد عرف العالم العربى والإسلامى المكتبات التى كانت تقوم مقام المكتبات الوطنية فى العصور القديمة، مثل: "بيت الحكمة" فى بغداد، و"دار الحكمة" فى القاهرة.

وفى العصر الحديث تعتبر مصر أقدم الدول العربية التى تنبهت لأهمية إنشاء مكتبة وطنية، فقد أصدر الخديو إسماعيل قرارًا فى ٢٣ مارس عام ١٨٧٠ بتأسيس المكتبة الوطنية المصرية تحت اسم "الكتبخانة الخديوية المصرية" وافتتحت رسميًا للجمهور فى ديسمبر عام ١٨٧٠. وتنفرد مصر من بين الدول العربية بوجود مكتبة وطنية متخصصة، وهى "المكتبة القومية الزراعية" التى أنشئت بقرار من وزير الزراعة ١٩٩١بالتعاون بين وزارة الزراعة والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

ويتطرق المؤلفان فى هذا الجانب التاريخى إلى الجذور الأولى لنشأة المكتبات الوطنية العربية فى كل من: المغرب، وتونس، والعراق، وقطر، والسودان، وموريتانيا، واليمن، والجزائر، والصومال، والإمارات، وسوريا، وليبيا، والسعودية، والأردن، والسودان.

وقد تناول المؤلفان بعد ذلك بالتفصيل أبرز المكتبات الوطنية العربية هى :

- دار الكتب القومية بمصر.
- المكتبة الوطنية بالجزائر.
- مكتبة الأسد الوطنية.
- مكتبة الملك فهد الوطنية.

وقد تم التطرق لكل مكتبة من ناحية النشأة والتطور، والمبانى والميزانية، والمجموعات، والعمليات الفنية، والخدمات.

الفصل الخامس: مستقبل المكتبات الوطنية فى العالم العربى:

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض مجالات التنمية وتحديث المكتبات الوطنية العربية، كما يهدف إلى وضع الخطوط العريضة لشبكة قومية للمكتبات الوطنية العربية.

ويبدأ هذا الفصل بالتأكيد على أن المكتبة الوطنية هى قمة هرم نظام المكتبات والمعلومات بالدولة ؛ لذلك فهى أكثر المكتبات ومؤسسات المعلومات تأثرًا بتطورات تكنولوجيات المعلومات والاتصالات. ومن هنا يبدو مدى الحاجة إلى رؤية جديدة للمكتبات الوطنية فى الوطن العربى تأخذ فى اعتبارها التطورات التى تحدث على الساحة الدولية والإمكانيات المتاحة على الساحة العربية، وأن تنطلق مرتكزة على التعاون والتكامل والعمل فى نطاق شبكة قومية عربية للمكتبات والمعلومات.

ويستعرض هذا الفصل بإيجاز المحاور الأساسية لتطوير المكتبات الوطنية فى العالم العربى، فضلاً عن إنشاء شبكة للمكتبات الوطنية العربية.

ويضع المؤلفان بعض الاعتبارات التى يجب أن تُراعى لتنمية وتحديث المكتبات الوطنية العربية، وهى :

١- أن تأخذ المكتبة الوطنية العربية دورًا رائدًا فى النظام الوطنى للمكتبات والمعلومات بالدولة.
٢- أن تكون المكتبة الوطنية فى وضع إدارى متميز.
٣- إعداد أو مراجعة وثيقة الوظائف والمهام فى ضوء المستجدات.
٤- مراجعة قوانين الإيداع العربية.
٥- تأدية الضبط الببليوجرافى فى الوطن بكفاءة عالية.
٦- وضع أو اعتماد الأدوات الفنية اللازمة للعمل.
٧- تقديم الخدمات التى تبين الدور الرائد والقيادى للمكتبة الوطنية فى الدولة.
٨- الاستخدام المكثف لتكنولوجيا المعلومات فى مختلف الأنشطة والخدمات بالمكتبة الوطنية.
٩- التعاون والتنسيق مع مرافق المعلومات على المستوى الوطنى وعلى المستوى الدولى.

ويرى المؤلفان أنه فى بدايات القرن الحادى والعشرين وفى ظل بيئة المعلومات التى تشهد تزايد النشر الإلكترونى وانتشار

مصادر المعلومات الإلكترونية والاستخدام المكثف لشبكة الإنترنت، أصبح الأمر يتطلب وجود شبكة قومية للمكتبات الوطنية العربية. ومن الممكن أن تكون المكتبة القومية المركزية هى مركز الإدارة والإشراف على هذه الشبكة مع تغيير جذرى لمهامها بناء على هذا التصور المقترح.

ويؤكد المؤلفان أن الشبكة المقترحة هى مشروع تعاونى يوفر فرصًا لكافة المكتبات الوطنية المشتركة فيه للحصول على المعلومات وتبادل المنفعة والمشاركة فى الموارد اعتمادًا على التكنولوجيات الحديثة المتاحة. ويتطلب الأمر النظر إلى العناصر التالية:

١- البنيان التنظيمى الذى يضطلع بالمسئوليات الإدارية والمالية؛ بالإضافة إلى التخطيط ووضع الاستراتيجيات.
٢- التنمية التكافلية للموارد.
٣- تحديد النقاط المحورية بما يكفل توزيع الأدوار والاختصاصات.
٤- وضع نظام للاتصال يتم تصميمه بطريقة تكفل له القدرة على نقل وتبادل المعلومات.
٥- ترميزات معيارية مشتركة للرسائل تضمن التفاهم بين جميع النقاط المحورية التى تدخل الشبكة.
٦- قاعدة بيانات ببليوجرافية مركزية تتيح التعرف على أماكن المواد المطلوبة داخل الشبكة.
٧- إمكانات التحويل التى تكفل الالتقاء والتفاهم مع الشبكات الأخرى.

وهكذا فإن المكتبات الوطنية العربية يجب أن تعمل معًا للانتفاع من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة من أجل تطوير شبكة للمشاركة فى الموارد على نطاق إقليمى.

ويختتم المؤلفان الكتاب بقائمة ببليوجرافية بالمصادر العربية والأجنبية التى استعانا بها لإعداد المادة العلمية لهذا الكتاب، وهى قائمة ثرية ومتنوعة تتضمن كتبًا وأعمال مؤتمرات ومقالات وأدلة.

وملحق بالكتاب قائمة بالمكتبات الوطنية على نطاق العالم تتضمن بيانات عديدة مثل: اسم المكتبة، وعنوانها، ورقم الهاتف، والموقع، والبريد الإلكترونى إن وجد.